

جماليات الأنشودة في أدب الأطفال

The Aesthetics of the Chant in Children's Literature

أ.د. حطري سميت

جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت
(الجزائر)

soumyahatri11@gmail.com

كبير دليّة

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس
(الجزائر)

kebirdal2025@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/26

تاريخ القبول: 2025/12/18

تاريخ الاستلام: 2025/11/23

ملخص:

أغاني الأطفال وأناشيدهم لها قيمتها في أدب الأطفال، فهي التي تخطّ الأساس الأوّل لتربية الإنسان، وطبعه على تذوّق الجمال اللّحني، والتأثير بمعاني الأناشيد التي تتغلغل إلى حسّه وإدراكه، وترسم له المثل والمبادئ التي يجب أن ينشأ عليها الإنسان منذ بداية طفولته وشأن أناشيد الأطفال شأن القصص والحكايات، يجب أن تسير الانفعالات الوجدانية الخاصة لكل مرحلة من مراحل نمو الطّفل وتطوّره.. وهكذا يميل الأطفال إلى التنغيم والإيقاع والكلام الموسيقي منذ نعومة أظافرهم. الكلمات المفتاحية: أدب الطفل؛ الشعر؛ الأنشودة؛ جماليات.

Abstract:

Children's songs and chants have value in children's literature, as they lay the foundation for human education and instil in them an appreciation for melodic beauty and and influence them with the meanings of the songs that penetrate their senses and perceptions, and draw for them the ideals and principles on which a person should be raised from early childhood. Children's songs, like stories and tales, must keep pace with the emotional reactions specific to each stage of a child's growth and development. Thus, children are inclined towards melody, rhythm and musical speech from an early age.

Keywords: children's literature; poetry; song; aesthetics.

1. مقدمة:

لكل طفل موهبته الخاصة، قد تكون الغناء أو المسرح أو الرسم، وما علينا سوى بذل الجهد من أجل تنميتها وتربية الأطفال وتوجيههم من خلالها. والأنشودة أحد هذه المواهب.

ولذلك أصبح الاهتمام بأدب الأطفال محل العناية البالغة للدارسين والباحثين في العصر الحاضر الذي نعيشه وتحديات المستقبل، ليلقي الضوء عليه كمحور رئيسي في مجالات الفكر والإبداع والابتكار والتواصل الاجتماعي باعتبار الطفولة صانعة المستقبل، وهي الركيزة الأساسية في بناء شخصيات الأطفال الذين يستحقون أن يكون لهم أدب يعنى بترتيبهم وتنشئتهم.

فأطفال اليوم هم شباب الغد وعدته ورجال المستقبل وقادته، ثم إن رعايتهم وإعدادهم للمستقبل حتمية حضارية يفرضها التقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر، كما أن التغير والتطور الاجتماعي نحو الأفضل يتوقف على ما يكرسه المجتمع بجميع مؤسساته خاصة التربوية والتعليمية، من بذل الجهود لإعداد الكثير من البرامج والقوانين والآداب والمؤسسات من أجل تنشئة وإعداد الطفل، وتكوين وبناء شخصيته إيماناً منا بأن مستقبل الأمة يكمن في مستقبل أطفالنا.

إذاً اعتبر النهوض بأدب الأطفال مظهراً من مظاهر التطور والتقدم العلمي ووسيلة بالغة الأهمية في تعريف الطفل بالبيئة التي يعيش فيها من كافة الجوانب وتنمية القدرات اللغوية لديه وزيادة قدرته على الفهم والقراءة والإسهام في تنمية الذوق الجمالي وتكوين ثقافة عامة لديه، إلى جانب توسيع آفاق الأطفال وتمكينهم من فهم أنماط الثقافات الأخرى وأساليب الحياة فيها، ما كان منها معاصراً وما يضرب في أعماق التاريخ، إضافة إلى ترسيخ الشعور بالانتماء إلى الوطن والأمة والعقيدة من قبل الطفل، وجب علينا أن نوظف أدب الأطفال ليكون درعاً يحمي أبنائنا من الغزو الثقافي الغربي، وخلق دنيا واسعة بلا حدود للطفل يستلهم منها ما يشاء ويحفز الطفل للإبداع والابتكار.

لقد خطأ أدب الأطفال في مختلف البلدان العربية خطوات لا بأس بها نحو الأمام، أما في بلادنا الجزائر، فما تزال تجربة الكتابة الموجهة للطفل قاصرة جداً، أي ما يزال فتياً يتقدم .

شيئاً فشيئاً، هذه المسيرة الفكرية والأدبية تسعى جاهدة لسد ذلك الفراغ، وتعويض ما فاتنا من سنوات الجهل والتخلف والجمود التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين، وإغناء المكتبات بالقصص والأشعار والأناشيد والمسرحيات وكل ماله صلة بالطفل، وتراثه الخالد وثورته المجيدة حيث يتواصل في عمقه، بماضيه، وتاريخه، بأدبه، والشعور بالوطن والأصالة والمعاصرة ... فظهرت بذلك محاولات الكتابة للطفل الجزائري قصد إثراء الساحة الأدبية بهذه الألوان على اختلاف في مستوى الكتابة بين جيلين جيل ما قبل الاستقلال وجيل ما بعد الاستقلال.

ومن بين هؤلاء الكتاب والشعراء: محمد الأخضر السائحي، محمد ناصر، ويحيى مسعود، وعبد الحميد بن باديس، وبوزيد حرز الله، وجمال الطاهري، ومحمد العيد آل خليفة ومحمد الهادي السنوسي الزاهري، محمد العابد الجيلالي

السماتي، محمد الصالح رمضان ومفدي زكرياء وغيرهم من المبدعين والذين قدموا إنتاجات إبداعية كثيرة من الصعب حصرها .

2. تعريف الأنشودة:

- لغة: الأنشودة (ج. أناشيد) ما يُغني من الشعر أو النثر الترنيمية.¹
- اصطلاحاً: الأناشيد : النشيد في اللغة هو نوعٌ من الشعر يُتلى أو يُغنى أو يُنشد بصوت رخيم. وقد عُرف منذ القدم نشيد الأناشيد، وهو أحد أسفار العهد القديم المنسوبة إلى سليمان الحكيم.²
- النشيد لونٌ أدبي متنوع يُؤلف ويُلحن ليخاطب جمهور الأطفال والفتيان، وهو نص شعري يعتمد على إيقاع لغوي وموسيقي واضح، يردده الصغار بصوت مرتفع. ويقوم النشيد والتناشد على رفع الصوت بالغناء، وهو ما ينسجم مع طبيعة الأطفال المائلة إلى الإنشاد والمرح. ومن خلال الأناشيد يزداد نشاطهم ويشعرون بالبهجة، كما تُغرس في عقولهم ونفوسهم القيم والمثل التي تُرجى ترسيخها في تربيتهم.³
- لقد كان للشعر حظاً وفراً في أدب الأطفال، وأثراً كبيراً في حياتهم بتنوع أشكاله وأنماطه. التي تدخل البهجة والسرور على الأطفال. «إن الشعر الذي يروق الأطفال ويستسيغونه من المفترض إن يروككم أنتم أيضاً. إذا كان الشعر الذي تقدمونه يشعركم بعدم الارتياح (ربما لأنه محض هزل، أو ربما لأنه نوع من الإرث الثقافي تسلمتموه باعتباره الأفضل على الإطلاق ومع ذلك في الحقيقة لم تحبوه إطلاقاً). عندئذ لابد أن تتقوا في ذوقكم الشخصي أسكتوه....واقرؤوا شعر الأطفال الذي يشعركم بالسعادة...فالحماسة أمر مُعَدٍ».⁴
- للشعر إذن أثر في نفوس الأطفال الناشئة، لما يمتاز به من إيقاع موسيقي وخيال ساحر.

3. الشعر في الأدب والاصطلاح:

- الشعر فنٌ يقوم على الصورة والصوت والجرس والإيقاع، ليعبر عن مشاعر وأفكار وإحباطات يصعب حصرها في أفكار محددة يمكن صياغتها في النثر العادي.⁵
- وتُعدّ الأناشيد الطفولية أحد الأشكال الشعرية البارزة والمهمّة في أدب الطفولة، فهي قطع شعرية قصيرة تتميز بعبودية النغم، وسحر الإيقاع، وجمال الألفاظ، وبساطة الكلمات مما يجعل الأطفال يتذوقونها ويحسّونها بها، عندما ينشدونها.

فالأناشيد هي نصوص شعرية تُراعى في صياغتها سهولة اللفظ، وتُنظم غالباً على البحور الخفيفة ذات الإيقاع الموسيقي الواضح، مثل مجزوء الرمل والمتقارب والمتدارك. وهي ملائمة للإلقاء الجماعي لأنها تعبر عن مشاعر مشتركة ترتبط بالوطن وتاريخه واللغة والدين والمجتمع بكل فئاته. وتشبه في طبيعتها شعر الجوقة الذي يعبر عن العواطف العامة المشتركة، حيث تتراجع فيه ذات الشاعر الفردية لتفسح المجال للشخصية الاجتماعية والوطنية الجمعية.

ورغم أنّ النشيد يُدرج عادة ضمن الشعر الغنائي أو الوجداني، حتى لُقّب الغنائي بالنشيد، فإنّ هذا اللون الشعري يقترب من الشعر الموضوعي لأن الشاعر ينطلق من الموضوع لكنه يقدمه عبر ذات جماعية وليست فردية.⁶ النشيد له بنيته الخاصة، وله أهداف وغايات يرمي إليها سواء من الناحية البدنية أو العقلية أو الأخلاقية، وحتى من خلال الضبط والعمل المدرسي، فهو يوفر للطفل نظاماً خاصاً، وينمّي له القوّة والنشاط والحيوية، فيدفعه إلى التأهل والإعجاب وحبّ الحياة والبشر فتنتشر الإخوة الإنسانية والبطولة الوطنية.

تُعَدّ الأناشيد، بما تمتاز به من سهولة ووضوح وإيقاع موسيقي وصور شعرية مؤثرة، أكثر الفنون الأدبية قرباً من الطفل. فالطفل بطبيعته يملك استعداداً فطرياً للإنشاد، إذ يجذبه الكلام ذو الموسيقى والتنغيم، ويزيد هذا الميل من حماسه وتعلّقه بالأناشيد. ويرجع ذلك إلى شعوره بأنه شريك فعّال في الأثر الكبير الذي ينشأ عن إنشاد النشيد جماعياً مع أقرانه، ذلك الأثر المتمثل في ذلك الصوت القوي الموحد الذي يبعث في نفسه متعة وفخرًا.⁷ وهذا ما يبين أن الأطفال يميلون إلى الأغاني أو الأناشيد العذبة والصوت الطيب بفطرتهم، وخاصة إذا كانت الكلمات مناسبة لسنّ الطفل وعقله لأن الغناء أقدم أشكال النشاط الموسيقي وأقربها إلى طبيعة الإنسان وذاته. ومنذ لحظة الولادة يبدأ الأطفال باستخدام أصواتهم فيختبرون مختلف الطبقات الصوتية عبر صرخات الأم وهجمات الارتفاع، ويمرحون بتغيير نبرات الصوت من خلال تحريك اللسان والشفاه والحبال الصوتية. وتمثّل هذه الأصوات الأولية البدايات الفطرية للغناء.⁸

كما يحب الأطفال الإصغاء إلى الأغاني أو الأناشيد منذ طفولتهم، ويتأثرون بالإيقاع فينفعلون ويقلّدون، ويتمتّعون بالسماع أو الإنشاد ليحقّقوا بذلك راحتهم النفسية والعصبية وتنمية الذوق والإحساس.

4. أنماط الأناشيد:

تعالج الأناشيد موضوعات مختلفة مستمدّة من حياة الطفل وواقعه، وهي مصدر من مصادر المعرفة والإبداع في أدب الأطفال، ونذكر في هذا المجال: النشيد الأزوجة، أغاني ترقيص الأطفال، المحفوظة، النص الشعري.

أ- الأزوجة أو الأنشودة: تعني فنّ أموي، مستمد من الأدب الشفوي المتواتر.

ب- أغنية ترقيص الأطفال: تستند إلى استجابة سيكوحركية، يقوم بها الطفل عن طريق الرقص: ومنها تنطلق لغة الطفل الأولى.

ت- الحكاية الشعرية الشعبية: هي لون من الأدب الشعبي يجمع بين سرد الحكاية وبناء الشعر. فهي تُروى بأسلوب شعري موزون ومقفى، وتمتزج فيها الأحداث والشخصيات بالصور والإيقاعات، مما يجعلها سهلة الحفظ والإنشاد. وتعتمد الحكاية الشعرية الشعبية على الخيال الشعبي، وتتناول موضوعات البطولات والمغامرات والحكمة والعادات، وقد تُروى في المجالس والاحتفالات، وتنتقل شفهيًا عبر الأجيال. فتعتبر الأغاني والأناشيد من أهم المواد الموسيقية التي لها قيمتها التربوية للصغار، فهم بطبيعتهم ميّالون للتغني. فكانت الأمهوات الشعرية صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والنفسية، شهدت البيئة العربية في العصر الجاهلي في ظل الحضارة الإسلامية، هذه التزيمات الغنائية

أو الأمّهودات الشعرية في أمهات كتب اللغة والأدب عند العرب؛ إذ إنّ تعيّن الأطفال وترقيصهم بالكلام الموزون عادة إنسانية قديمة wherever وُجد الإنسان. وقد عدّ العرب هذا السلوك من الخصال الحميدة التي يُراد بها تنشئة الطفل وتهذيب سلوكه، إذ كانوا يلاعبونه ويرقصونه بمقاطع شعرية منظومة...⁹

يقول ابن سينا "...فإن اشتدّت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتحمّيا للتلقين ووعي سمعه: أخذ يتعلّم القرآن، وصوّرت له حروف الهجاء، ولقن معالم الدين..... كما ينبغي أن يروى للصبي الرجز تم القصيد، فإنّ روايته أسهل وحفظه أمكن لأنّ بيوته أقصر ووزنه أخفّ".¹⁰

ومنه نجد أن العرب قد اهتموا وشجعوا الصبيان برواية الشعر وإنشاده وتعليمه في المجالس والمحافل، وفي ظلّ الإسلام ازداد اهتمام الخلفاء بتعليم الأطفال الشعر وروايته والتغني به. فالإيقاع الصوتي والحركي وما يصاحب هذا الإيقاع من الغناء بكلام موزون وهددة أمه له، وترقيصه هذا كلّه يلقي من الطفل قبولاً وتفاعلاً بالابتسام تارةً، والصّياح تارةً أخرى، ويتفق مع مزاج الطفل في هذه الفترة، فيهيئ له نموّاً نفسياً سليماً كما يساعد على الإسراع بالنمو اللغوي.

إنّ ملاعبة الطفل ورعايته من السنّة المطهّرة، وقد ورد ذلك في سيرة الرسول ﷺ وسلوك الصحابة والتابعين كالحسن البصري وغيرهما. فمحبّة الأولاد وملاطفتهم خلّق راسخ في الإسلام، وقد قال النبي ﷺ للأقرع بن حابس: مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ.¹¹

ومنه نستخلص أن الأغاني والأناشيد والأمّهودات وجدت منذ الأزل في حياة الطفل كون الأم الرقيق الحنون الملازم له ترقص ابنها، وتخطبه وتغنيه الأمّهودات بلغة سهلة تساهم في تكوينه وغوه النفسي واللغوي.

5. أهمية الأناشيد في حياة الطفل:

الأنشودة لون من ألوان أدب الأطفال، فهي تساعد الطفل على فهم نفسه ومن حوله وتُنمّي شخصيته، وتكوين مثله العليا، كون الطفل يميل إلى التّعني ويضطرب إلى الإنشاد لأنّه يبعث فيه النشاط والسّرور والترفيه.

يُسهم الغناء في إلهاء الأطفال من مختلف الأعمار عمّا يزعجهم، ويعيد توجيه مشاعرهم نحو الحب والدعم. فالأطفال يستمتعون بأن يُعنى لهم، ويحبون المشاركة في الغناء مع الكبار عندما يكبرون. وعند شعورهم بالإحباط، يمكن لترديد أغنية واحدة مراراً أن يخفف من توترهم ويمنحهم الإحساس بالراحة والاطمئنان. كما يعزّز الغناء رابط الطفل بوالده، ويُعدّ استخدام الموسيقى لتهيئة أجواء مريحة أو سعيدة وسيلة ذات فائدة كبيرة.

الغناء مشوّق بذاته، فهو وسيلة لكسب المعرفة في حالة جيّدة من حالات الانفعالات السّارة والأطفال بدورهم يميلون إلى الاستماع إلى الأناشيد وإنشادها، لأنّهم فطريون مولعون بتنغيم الأغاني، وتلحين الأصوات. نجد أن الغناء يمثل أوّل أشكال الفن التي يختبرها الطفل بين ذراعي والدته، فرغم أنّه لم يتقن اللغة بعد ولم يفهم معاني الكلمات، فإنّ انفعاله يتأثر بالإيقاع واللحن، وبصوت الأم الذي يبعث في نفسه شعوراً بالسكينة والاطمئنان.¹²

وهكذا نجد بأنّ الطفل ينفعل بالإيقاع أكثر من المعنى، ويجد في الغناء متنفساً له، لأنّه مستمد من حياته ولعبه وتطلّعاته. وقد أطلق شعار: "دعوا الطفل يغني"، فطالما كان الغناء استجابة لحاجة نفسية، وطالما أدرك الطفل منذ ولادته أن الغناء رمز للفرح والاطمئنان ووجه من وجوه الحياء الباسم، وطالما شعر بأن بكاءه يجد دواءً في غناء أمه، فإنه يغني ليعبر عن ذاته وينقل سعادته إلى من حوله¹³، تُنمّي الأنشودة أو الأغنية خيال الطفل وتقض عواطفه ومشاعره وتغرس فيه القيم الدّينية والمبادئ الخلقية، كما تُنمّي ميوله الأدبي نحو القراءة وتدوّق الجمال اللّغوي، والإلقاء الجيّد وحسن تمثيل المعاني، وبثّ الرّوح الدّينية والقومية في نفوس الأطفال.

تخطى أغاني الأطفال وأناشيدهم بأهمية كبيرة عند جميع الشعوب، فهي تمثل الأساس الأول لتربية الإنسان، وتغرس في نفسه حبّ الجمال اللّحني وفهم معاني الأغاني التي تتغلغل في إحساسه وإدراكه. كما ترسم له القيم والمبادئ التي ينبغي أن ينشأ عليها منذ بدايات طفولته. ومثلما هو الحال مع القصص والحكايات، يجب أن تتناسب أغاني الأطفال مع الانفعالات الوجدانية الخاصة بكل مرحلة من مراحل نمو الطفل وتطوره.¹⁴

- الغاية الأولى للنشيد إنّما هي إثارة العواطف الشريفة في نفوس الأطفال على اختلاف الموضوعات التي تعالجها الأنشيد.

وبالغناء أو الاستماع إلى النشيد تساعد الطفل على إعادة توجيهه من التركيز على شيء يضايقه إلى شيء يسعده.

يساهم الغناء والاستماع إلى الموسيقى في تهدئة المزاج وجعل الحياة أكثر متعة. كما أنه يحفّز الإبداع وينمّي قدرات الجزء الأيمن من المخ، مما يجعل الطفل أكثر مرونة وتعاوناً في مواجهة مختلف المواقف.¹⁵ فالإيقاع إذن منبّه للحواس ومثير للخيال، والغناء ميل غريزي في الطبيعة البشرية، يساعد الأطفال في نموهم العقلي والأدبي والنفسي والاجتماعي والخلقي. ويحقق لهم العلاج النفسي والراحة والطمأنينة.

(قال أهل الطب: إنّ الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدّم في العروق فيصفوا له الدّم وتنمو له النفس ويرتاح القلب وتحتر له الجوارح وتحفّ له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويضطرب. والطفل ميال بطبيعته إلى الاستجابة للتغني على أصوات الكلام المنغوم ويميل كذلك ويضطرب لسحر الإيقاع الموزون، خاصة مما يصدر عن أمّه في فترة مهده من كلمات الهددة. (تهنئ الطفل بالكلام الموزون في إيقاع منغوم).¹⁶ حيث تتنوّع الأنشيد في مقاصدها وأنواعها، يرادّها الأطفال بأصواتهم وأهازيجهم، فهم بطبيعتهم ميّالون إلى التغني بالأنشيد، فينشطون لذلك وبها يفرحون وتطبع في أذهانهم ونفوسهم المثل والقيم المرجوة، وفق مراحل مختلفة بدءاً من رياض الأطفال إلى المدارس الابتدائية ثم المتوسط.

تُعَدُّ الأناشيد نوعاً من الأدب الجاذب والمحِب، إذ يضيف تلحينها جاذبية تزيد من اهتمام التلاميذ بها وممارستهم لها، ويشجعهم على المشاركة الجماعية في إلقائها، مما يضيف متعة إضافية ويقوّي حماسهم. كما تحقق الأناشيد العديد من الأهداف التربوية واللغوية، منها:¹⁷

- تساعد التلاميذ المترددين والخجولين على التغلب على الخوف من النطق الفردي، فتمنحهم الثقة عند الإلقاء.
- تحفّز دوافع التلاميذ من خلال إدخال السرور عليهم، وتحدد نشاطهم، وتخفف من شعورهم بالملل، لما تحتويه من تلحين عذب.
- تسهم في غرس الصفات النبيلة والمثل العليا لديهم.
- تدفع الأناشيد الملحنة التلاميذ إلى تحسين النطق وإخراج الحروف من مخارجها الصحيحة.
- تعدّ وسيلة فعّالة لتزويد التلاميذ بالمهارات اللغوية، فتساعدهم على تهذيب لغتهم والارتقاء بأسلوبهم.
- وهكذا فإنّ الأهداف التربوية واللغوية للأناشيد تتمثل في إمتاع الأطفال، وتبديد خجلهم، وتعويدهم على العمل الجماعي ومشاركة الرفاق، بغرس القيم السامية وتنمية ميولهم الأدبية والفنية، فهي تجعل الصغار يحسّون بجمال اللغة والصورة وجمال التعبير.
- إنّ اختيار الأناشيد المناسبة لميولات الأطفال أمر مهمّ، لتوجيه مواهبهم وصقلها، وفق قدراتهم وتجاربهم، فتنمّي بذلك إحساسهم بالجمال، وتثري ألفاظهم، وتحسّن إلقاءهم، وترهف مشاعرهم وأذواقهم. وتتحدّد أهمية تعليم هذه المحفوظات في:

- إمداد التلاميذ بثروة لغوية وفكرية تُعينهم على إجادة التعبير.
- تساعدهم على إدراك الأساليب الأدبية، إذ لا شك أنّ معانيها أعمق وأكثر تعقيداً من الأساليب العادية.¹⁸
- تنمية اتجاهاتهم الاجتماعية بما تشيعه القطع الأدبية من معانٍ سامية في نفوسهم وتوقظ شعورهم.
- تساهم في تنمية مهارة التلاميذ في الإلقاء الجيد المبني على فهم صحيح ودقيق.
- وبالتالي فإنّ الإنشاد أو الغناء أو الموسيقى بصفة عامّة تُعتبر مادّة تعليمية لإثارة الأطفال في مراحل الطفولة نحو الاستمتاع بالألحان المسموعة، والتعبير عن الأحاسيس والعواطف، لكشف ميولات الأطفال ومواهبهم واستعداداتهم للتعلم وإيقاظ مشاعرهم لحبّ الحياة والتواصل معها.

6. التذوّق الموسيقي لدى الأطفال:

إرهاف حسّ الطفل بالجمال، وتنمية خياله، وإبراز مواهبه، وصقل ذوقه، عنصر هامّ في إعداد وتنشئة الأطفال، وتنمية التذوّق لديهم لمختلف أجناس الأدب، كي تجد طريقها إلى وجدان الطفل، وتجذب انتباهه، وتثير فيه عوامل التقدير والإعجاب والتذوّق والتمتّع.

(وتذوق الشيء معناه، كما يقول (د. ستانلي جاكسون): «إدراك قيمته إدراكاً يجعلنا نشعر شعوراً شخصياً مباشراً، وفي الوقت نفسه نشعر جيّالاً برابطة وجدانية، تدفعنا إلى تقديره وحبّه، والاندماج فيه بجرارة وحماسة». ولئن كان التذوق أمراً يغلب عليه الوجدان أو الانفعال، فإنّه إلى جانب ذلك يتّصل بالتفكير، ويحتاج إلى قدرٍ من الفهم، ولهذا نكون أكثر استعداداً لتذوق الشيء إذا ما فهمناه.¹⁹ فالأطفال بطبيعتهم يميلون إلى التنعيم والإيقاع والكلام الموسيقي منذ الصّغر، يسرّون ويستمتعون به، لجمال إيقاعه ولغته وصورته وتعبيره.

يبدأ تذوق اللغة من خلال الشعر منذ مرحلة الحضانة، ويمكن للتجاهين العلمي والأدبي أن يسيرا جنباً إلى جنب ويتكاملا في التفكير والتعبير. لذا لا يوجد ما يدعو للقلق بشأن المواد العلمية إذا سعى المربون إلى غرس أسس التذوق الأدبي في عقول الأطفال منذ الصغر. ويجب عليهم اختيار الأناشيد المناسبة التي تتوافق مع ميول الأطفال، وتنمي إحساسهم بالجمال، وتثري مفرداتهم، وتحسّن إلقاءهم، كما تُرهب مشاعرهم وتزيد من تنمية أذواقهم الأدبية.²⁰

من ذلك تتضح لنا أهمية الموسيقى فهي تثير المشاعر وتدخل المتعة إلى النفوس فتنتي مواهب الأطفال وقدراتهم وتدفعهم إلى الاستجابة، ومنه فإنّ التذوق الموسيقي يعني الاستمتاع بالموسيقى وفهمها. فعندما يتعلّم الأطفال أن يكونوا سعداء، سوف يكونون مستعدين للعمل الجادّ في فترة المراهقة. وعندما يطلب من الأطفال أن يعملوا دون الاستمتاع بما يقومون به، فإنهم لن يتعلموا أبداً كيف يستمتعون. وعندما يبلغون سنّ المراهقة فسوف يتمردون على العمل أو سيعملون بجِدّ دون الاستمتاع.²¹ ولهذا وجب على المربين ومدرّسي الأطفال، أن يستثمروا مواهب الأطفال، وميولاتهم الفطرية، فيختارون لهم ما يناسبهم، ويُشجّعونهم على العمل والإلقاء والتواصل.

نحتاج اليوم إلى الاستماع بعناية لأطفالنا، واكتشاف من يمتلك صوتاً عذباً ونقيّاً، وتشجيعه على تلاوة القرآن الكريم والغناء بالأناشيد الجميلة، لغرس فيه حب الخير منذ الصغر. وكذلك بالنسبة لمن يمتلك مهارات في الرسم أو التمثيل أو القراءة، يمكن منحهم موضوعات للرسم مع تقييم لطيف وإرشاد هادف، وتوفير كتب مصوّرة تساعدهم على صقل موهبتهم، كما يمكن إعداد مشاهد تمثيلية هادفة للممثل الصغير. بهذا الأسلوب نعمل على تنمية قدرات ومواهب أبنائنا بشكل فعّال ومحّب.²²

وإذا كان الأدب هو الكلام الجميل، فإنّ التذوق الفنّي هو ملكه الإدراك والتمتّع بما هو جميل في الفنّ والأدب، ثمّ إنّ حاجة الطفل للقراءة والتلقّي لمختلف ألوان الأدب أساسية لإشباع رغبته في التعلّم ومعرفة الأشياء التي حوله، والعالم الذي يعيش فيه وبالتالي تنمية قدرات الطفل القرائية لتنمية التذوق اللّغوي لديه، ويهدف درس الأدب في أغراضه الرئيسية إلى غرس الذوق الأدبي في نفوس التلاميذ، ليظهر ذلك جلياً في تعبيرهم، ويشجعهم على مواصلة القراءة في أوقات فراغهم، كما يسهم في تقويم لغتهم، وتعويدهم على الإلقاء الجيد، والكتابة السليمة، وتنمية قدرتهم على النقد الصحيح.²³

يتميّز الطفل المتدرب بخصائص وقدرات خاصّة تسمح له بالتذوق من خلال القراءة والتلقّي لمختلف أجناس الأدب، واكتساب معرفة وثقافة وذوق فنّي.

يرى الدكتور حسن شحاتة، الذي اهتمّ بدراساته وأبحاثه بأدب الطفل العربي أنّ تحقيق التذوّق الأدبي يعني الاهتمام بثلاثة جوانب: المعرفي، الوجداني، المهاري، «وهي جوانب تعليمية جديدة بالاهتمام معاً، وتستحقّ أن يسعى المعلم لتحقيقها من خلال الفنون الثرية والشعرية في مراحل التعليم المختلفة»... ويساعد التذوّق الأدبي الطفل على أن يكون إيجابياً ونشطاً، ويشعر بقيمة الشعر في حياته، ويفهم العلاقة العاطفية بين النص الأدبي ونفسه. كما يمكنه التذوّق الأدبي من استخدام ألفاظ اللغة بوضوح ودقة في التفكير والتعبير.²⁴

- إنّ أدب الأطفال يقدّم معرفة جمالية، وتذوّقاً للقراءة المشوّقة والمتعة، - وخاصةً الأناشيد - فينمي الحسّ الأدبي لدى الأطفال، ويكشف عن مواهبهم الذاتية الخلّقة، خاصةً من قبل معلّمهم إذا وجدوا الاهتمام من المعلمين والمربين، وذلك بوضع الأسس المتينة لتكوين التذوّق الأدبي في عقول الأطفال منذ صغرهم.

ينبغي أن يحظى الأطفال بالاهتمام والرعاية حتى سن السابعة. أما بين السابعة والرابعة عشرة، فيجب أن يركّز الأطفال على الاستمتاع باللعب والغناء والرسم، والتدريب على الآلات الموسيقية، وممارسة الرياضة، وقراءة الروايات، وأداء الواجب المدرسي، مع المشاركة في بعض الأعمال المنزلية. فالكثير من البالغين لم يتعلموا أبداً كيفية الاستمتاع بالحياة، ويعود ذلك إلى افتقارهم للدعم المناسب لاكتساب هذه القدرة. فالسعادة مهارة تتطور أساساً بين سن السابعة والرابعة عشرة..²⁵

فالطفل يستقي خبراته من خلال تفاعله مع ما يقرأ ويسمّع ويشاهد، من خلال المسرحيات والقصص والأغاني والأناشيد، التي تشرح المفردات والتراكيب وتوضّح معاني الكلمات ودلالاتها، فتساعد على تحديد مفاهيم الأطفال بثروة لغوية تساعدهم في حياتهم وتشبع حاجاتهم النفسية، وتزوّدهم بالقيم الدينية والأخلاقية والشخصية والاجتماعية.

إنّ توجيه الطفل توجيهاً خالصاً للمجالات الأدبية، واكتشاف مواهبه الأدبية أو الفنية هو في حدّ ذاته تذوّق لأدب الطفولة بأشكاله وأنواعه التعبيرية المختلفة، والعمل على إكساب الطفل بعض المهارات والسلوكيات والعادات من خلال النماذج التي تقدّم للطفل أو التلميذ داخل المدرسة أو خارجها. وحين يغني الأطفال أناشيدهم أو أغاني ألعابهم، يسعى أدب الطفل إلى تفرغ الانفعالات المكبوتة لديهم، مما يساعدهم على التغلب على مخاوفهم وتوترهم. ويمكن تشبيه هذا الهدف بنظرية التطهير التي ذكرها أرسطو حول التأثيرات النفسية للأدب والفن..²⁶

للغناء والموسيقى والإنشاد أهداف نفسية ووجدانية عظيمة في حياة الطفل، فهي تنمي شخصيته، وتشعره بالارتياح النفسي والمتعة والمرح، وتساعده على تحقيق طموحه وتنمية الذوق الأدبي لديه منذ الصغر. «الغناء هو أول شكل من الأنشطة الموسيقية وأكثرها التصاقاً بطبيعة الإنسان وذاتيته. والأطفال يستخدمون أصواتهم منذ ساعة ولادتهم، ويجربون الأصوات المختلفة وهم يمارسون صيحات الألم وهمهمات الارتياح، ويلعبون بنبرات الصوت بتحريك لسانهم، وشفاههم وجباههم الصوتية. وهذه الأصوات تمثل بدايات الغناء»²⁷ خاصةً إذا ما أُتيحت الفرصة للأطفال أو التلاميذ

بالتعبير العفوي عن مشاعرهم من خلال إمدادهم بالكثير من ألوان الأدب الجيد عن طريق القصص والقصائد والنصوص الجميلة والتي تساعدهم على تربية التذوق الفني أو اللغوي.

ويظهر التذوق الفني لدى الأطفال منذ مراحل مبكرة، كما يوضح هيزر، فهم ينجذبون منذ الأشهر الأولى إلى الأشياء اللامعة والألوان الزاهية، ويستمتعون بالاستماع إلى الغناء والموسيقى، ويتأثرون بالإيقاع. ومنذ السنة الثانية، يشعر الأطفال بالبهجة عند مشاهدة روائع الطبيعة مثل السماء والأشجار والأزهار وغناء الطيور، وينفرون من الأصوات العالية والطعام ذو الرائحة الكريهة. كما أن الاهتمامات الفنية للطفل تظهر وتنمو أسرع من اهتماماته الفكرية والأخلاقية.²⁸

فعملية تشجيع الطفل أو المعلم، تخلق له الرغبة في الممارسة والتواصل وتنمية التفكير والإبداع، وبالتالي تربية التذوق. وتسهم الاستجابة الإيجابية لأعمال الطفل—سواء كانت في الرسم أو التلوين أو تشكيل الأشكال بالمعجون أو الطين—وأهمية دور الكبار في التعليق المشجع وإظهار الاهتمام بهذه الأعمال، في تعزيز شعور الطفل بالاعتزاز والثقة بالنفس. إذ يشعر الطفل حينها بأن أحاسيسه مسموعة، وأن هناك من يستمع له ويهتم بما يقدمه. ومن الجدير بالذكر أن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 5 و7 سنوات يصبحون قادرين على التخطيط وتنظيم أعمالهم الفنية بشكل ملحوظ.²⁹ هذا ما يحقق المهارة لدى الأطفال وتوسيع مداركهم العقلية لفهم العالم من حولهم

إن إثارة الطفل للتذوق الفني أو الأدبي، تحتاج إلى أن نشجعه على الغناء المصحوب بالحركات، وإسماعه الكثير من الشعر والقصص الجيدة. ويؤكد أطباء علم النفس أن الغناء الجماعي للأطفال له تأثير علاجي على بعض الاضطرابات النفسية ويساعد في التغلب على مشاعر عدم الاستقرار والعزلة. كما يُنمي الغناء لديهم الصبر وهدوء النفس وشفافيتها. إضافة إلى ذلك، تُساهم الموسيقى في علاج مشاكل الكلام لدى الطفل، وتوسيع عضلات الصدر مما يُحسن عملية التنفس، ويقوّي عضلات الحنجرة. علاوة على ذلك، يُسهم الغناء الجماعي في تقليل التوتر النفسي وتعزيز الشعور بالراحة لدى الطفل.³⁰

ومنه فإن الأطباء وعلماء النفس والمهتمون بشؤون الأطفال يرون أن الغناء أو الموسيقى علاج لنفسية الطفل. ثم إن عملية الكشف عن مواهب الطفل وقدراته وإعطائه الفرصة لتنمية هذه المواهب بالممارسة، يجعله يشعر بتحقيق ذاته ويحسُّ بلذة النجاح وبالتالي تحقيق الأمن والطمأنينة والراحة النفسية. (والموسيقى هامة للطفل وهي بمثابة غذاء نفسي وروحي وعقلي وبدني له، وبما أنّها تثير السعادة لديه، فإن إثارة المشاعر الايجابية والسارة تنشّط عمل الدماغ وبالتالي تساهم في التطور العقلي وتحفيز مهارات التفكير)³¹.

7. خاتمة:

هناك قواعد عامة يمكن أن تدرّب الأطفال على تذوق الموسيقى وجمالها، وذلك من خلال تدريبهم على الاستماع إلى ألحان موسيقية مستمدة من صميم الحياة الشعبية والتراثية التي عاشها شعبهم وأمتهم ومجتمعهم. ينبغي أن

تكون هذه المؤلفات بسيطة، تحمل نغماً وحركة ولعباً يناسب الميل الفطري لدى الأطفال، وتحتوي قصصاً عن الطبيعة وجمالها، وأن تكون مستمدة من واقع الحياة المحيط بهم.

الاهتمام بهذه العوامل يسهم في تنمية شخصية الطفل، وإبعاد شبح القيم السلبية عنه، ويعمل على تعزيز الشجاعة الأدبية والجرأة في إبداء الرأي الحر، مع الالتزام بالمثل العليا والقيم الأخلاقية النبيلة المكتسبة من دراسة وتذوق أجناس الأدب المختلفة.

وقد أظهرت الدراسات أن تكرار الاستماع إلى الموسيقى الهادفة والمستمدة من التراث الشعبي يعزز من قدرة الطفل على التعبير عن مشاعره وأفكاره، ويزيد من وعيه بالبيئة المحيطة به، كما يساعد على تطوير مهاراته الاجتماعية من خلال النشاطات الجماعية الموسيقية.

لذلك يُنصح بتكثيف البرامج التعليمية الموسيقية التي تركز على التراث الشعبي والأدب الموجّه للأطفال، وتشجيع الأطفال على المشاركة في الغناء الجماعي والأنشطة الفنية، مع متابعة تطور مهاراتهم النفسية والاجتماعية لضمان الاستفادة القصوى من هذه التجربة الثقافية والفنية.

8. الهوامش:

- 1- راتب أحمد قبيلة، المتقن، دار الراتب الجامعية، لبنان: بدون سنة، ص 99 .
- 2- ينظر، يوسف مارون، أدب الأطفال، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان: 2011، ص 243.
- 3- ينظر، أحمد زلط، أدب الأطفال العربي، ط1، دار الوفاء، مصر: 1999، ص 155.
- 4- بيترهانت، مقدمة في أدب الطفل، المركز القومي للترجمة، القاهرة: 2009، ص 229.
- 5- ينظر، يوسف مارون، أدب الأطفال، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان: 2011، ص 241 .
- 6- العبد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر: 2008، ص 113 .
- 7- ينظر، المرجع نفسه، ص 115 .
- 8- ينظر، ملكة أبيض، الطفولة المبكرة والجديد في رياض الاطفال، ط3، المؤسسة الجامعية، لبنان: 2008، ص 185 .
- 9- ينظر، يوسف مارون، أدب الأطفال، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان: 2011، ص 244.
- 10- أحمد زلط، أدب الطفل العربي، ط 1، دار الوفاء، الإسكندرية: 1999، ص 66.
- 11- ينظر، المرجع نفسه، ص 74.
- 12- ينظر، محمد سعيد مرسى، فن تربية الأولاد في الإسلام، ط1، دار حنين، القاهرة: 2011، ص 147-148.
- 13- ينظر، جون جراي، الأطفال من الجنة، منشورات الشهاب، 2012، ص 98.
- 14- ينظر، يوسف مارون، أدب الأطفال، ص 244.
- 15- ينظر، عبد الفتاح أبو معال، الأطفال، ط1، دار الشروق، الأردن: 2005، ص 223.
- 16- جون جراي، الأطفال من الجنة، ص 99.
- 17- ينظر، أحمد زلط، أدب الطفل العربي، ص 137.

- 18- ينظر، حسن شحاتة، أدب الطفل العربي، ط3، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة: 2004، ص ص 216-217.
- 19 - بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن، وزارة الثقافة، الجزائر: 2007، ص 227.
- 20 - ينظر، يوسف مارون، أدب الأطفال، ص 247.
- 21- ينظر، جون جراي، الاطفال من الجنة، ص 100.
- 22- ينظر، محمد سعيد مرسى، فن تربية الاولاد في الاسلام، ص12.
- 23- ينظر، حسن شحاتة، أدب الطفل العربي، ص 257.
- 24- ينظر، المرجع نفسه، ص 259.
- 25- ينظر، جون جراي، الأطفال من الجنة، ص101.
- 26- أحمد زلط، أدب الطفل العربي، ص 233.
- 27- ملكة أبيض، الطفولة المكبرة، ص 185.
- 28- ينظر، المرجع نفسه، ص165.
- 29- ينظر، عوني معين شاهين، حنان فاضل زايد، الإبداع، ط1، دار الشروق، الأردن: 2009، ص268.
- 30- ينظر، محمد رفعت، قاموس الطفل الطبي، دار ومكتبة الهلال، لبنان: بدون سنة، ص113.
- 31- عوني معين شاهين، حنان فاضل زايد، الإبداع، ص282.

6. قائمة المراجع:

1. أحمد زلط، أدب الأطفال العربي، ط1، (مصر: دار الوفاء، 1999).
2. بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن، (الجزائر: وزارة الثقافة، 2007).
3. بيترهانت، مقدمة في أدب الطفل، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009).
4. جون جراي، الأطفال من الجنة، (منشورات الشهاب، 2012).
5. حسن شحاتة، أدب الطفل العربي، ط3، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004).
6. راتب أحمد قبيعة، المتقن، (لبنان: دار الراتب الجامعية، بدون سنة).
7. عبد الفتاح أبو معال، الأطفال، ط1، (الأردن: دار الشروق، 2005).
8. عوني معين شاهين، حنان فاضل زايد، الإبداع، ط1، (الأردن: دار الشروق، 2009).
9. العيد جلولي، النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر، (الجزائر: وزارة الثقافة، 2008).
10. محمد رفعت، قاموس الطفل الطبي، (لبنان: دار ومكتبة الهلال، بدون سنة).
11. محمد سعيد مرسى، فن تربية الأولاد في الإسلام، ط1، (القاهرة: دار حنين، 2011).
12. ملكة أبيض، الطفولة المبكرة والجديد في رياض الاطفال، ط3، (لبنان: المؤسسة الجامعية، 2008).
13. يوسف مارون، أدب الأطفال، ط1، (لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، 2011).